عدَّها، وأعظمها إرساله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق رحمةً للعالـمين، وبشرى للمتَّقين؛ ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان، والعز والتمكين والسلطان، وكفى بالله شهيدًا على صدق رسوله، وحقيقة ما جاء به.

وشهادته سبحانه تكون بقوله وفعله وتأييده لرسوله بالنصر والـمعجزات والبراهين الـمتنوِّعة على أنَّ ما جاء به هو الحق المبين.

((وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا)).

[معنى الشهادة] ((**الشهادة**)): الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان، وواطأ القلبُ عليها اللسان؛ فإنَّ الله قد كَذَّب الـمنافقين في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾، مع أنَّهم قالوا بألسنتهم[١].

و((**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)): هي كلمة التوحيد، التي اتَّفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه؛ كما قال نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم

---

(١) يعني الشارح تكذيب الله لهم في الآية الأولى من سورة الـمنافقون في قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

على الله عزَّ وجلَّ))[١].

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرَّد؛ كقولنا: الله واحد. مثلًا فهي تدلُّ بصدرها على نفي الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وتدلُّ بعجزها على إثبات الإلهية له وحده. ولا بدَّ فيها من إضمار خبرٍ تقديره: لا معبودَ بحقٍّ - موجودٌ[٢]- إلا الله.

وأمَّا قوله: ((**وَحْدَهُ لا شَرِيكَ**))؛ فهو تأكيد لما دلَّت عليه كلمة التوحيد.

وقوله: ((**إقرارًا به**)) مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى الفعل: ((أشهد))، والمراد: إقرار القلب واللسان.

وقوله: ((**توحيدًا**))؛ أي: إخلاصًا لله عزَّ وجلَّ في العبادة، فالمراد به التوحيد الإرادي الطلبي المبني على توحيد المعرفة والإثبات.

---

(١) رواه السبعة: البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠)، وأحمد (١/١١) (٦٧)، وأبو داود (٢٦٤٠)، والترمذي (٢٦٠٦)، والنسائي (٣٩٧٠)، وابن ماجه (٣١٨٧) واللفظ له. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث بنحوه روي من طرق عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم جميعًا.

(٢) يعني الشارح أن هذه الكلمة تقدير لخبر مستتر؛ لـ (لا) النافية للجنس.

((وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا))(١).

وجعل الشهادة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة والعبودية مقرونًا بالشهادة لله بالتوحيد؛ للإشارة إلى أنَّه لا بد من كلٍّ منهما، فلا تُغني إحداهما عن الأخرى، ولهذا قرن بينهما في الأذان، وفي التشهد.

وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤]: ((يعني: لا أُذْكَرُ إلَّا ذُكِرتَ معي))(٢).

وإنَّما جمع له بين وصفي الرسالة والعبودية؛ لأنَّهما أعلى ما يوصف به العبد.

[معنى العبادة]

والعبادة: هي الحكمة التي خَلَقَ الله الخَلْقَ لأجلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية؛ ازداد كماله، وعلت درجته.

---

(١) ليس في الأصل الصلاة على الآل والصحب.

(٢) صح عن مجاهد أنه قال في تفسير هذه الآية: ((لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي: أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله)). وقال الألباني في ((فضل الصلاة على النبي)) لابن إسحاق القاضي (ص٨٦): ((إسناده مرسل صحيح، فهو حديث قدسي مرسلٌ)). وروى أبو يعلى في ((المسند)) (٥٢٢/٢) بإسناد ضعيف، من حديث أبي سعيد الخدري رفعه: ((إذا ذُكرتُ ذكرتَ معي)). وانظر: ((الدُّر المنثور)) (٥٤٩/٨).

ولهذا ذكر الله نبيَّه بلقب العبد في أسمى أحواله وأشرف مقاماته؛ كالإسراء به، وقيامه بالدعوة إلى الله، والإيحاء إليه، والتحدِّي بالذي أُنْزِلَ عليه.

ونبَّه بوصف العبودية أيضًا إلى الرد على أهل الغلوِّ الَّذين قد يتجاوزون بالرسول قدره، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية؛ كما يفعل ضلَّال الصوفية قبَّحهم الله، وقد صحَّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنَّما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسوله))[1].

والمقصود أنَّ هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، وكمال رسالته، وأنَّه فاق جميعَ البشرِ في كلِّ خصلةٍ كمالُه.

ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه.

[معنى الصلاة] الصلاة في اللغة: الدعاء؛ قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

وأصحُّ ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في ((صحيحه)) عن أبي العالية؛ قال: ((صلاة الله على رسوله: ثناؤه عليه عند الملائكة))[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم في التفسير، (٦/١٢٠)، ووصله ابن إسحاق القاضي في كتابه ((فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)) (ص: ٨٢)، وقال الألباني: ((إسناده موقوف حسن)).

والـمشهور أنَّ الصلاة من الـملائكة الاستغفار؛ كما في الحديث الصحيح: ((والـملائكة يصلُّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلَّى فيه؛ يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه))[(١)].

ومن الآدميين: التضرُّع والدُّعاء.

وآل الشخص هم من يمتُّون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها.

وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُراد بهم أحيانًا مَن حَرُمَت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطَّلب، ويراد بهم أحيانًا كل مَن تبعه على دينه.

وأصل (آل): أهل، أُبْدِلَتِ الهاء همزة، فتوالت همزتان، فقُلِبَتِ الثانية منهما ألفًا، ويصغر على أُهَيل أو أُوَيْل، ولا يستعمل إلا فيما شرف غالبًا، فلا يقال: آل الإسكاف وآل الحجام.

والمراد بالصحب أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم كل من لقيه حال حياته مؤمنًا[(٢)]، ومات على ذلك.

[معنى السلام]

والسلام: اسم مصدر من سلَّم تسليمًا عليه؛ بمعنى طلب له السلامة من كل مكروه، وهو اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: البراءة والخلاص من النقائص والعيوب، أو الذي يسلِّم على عباده المؤمنين في الآخرة.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)، ورواه أيضًا: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد في ((المسند))، ومالك في ((الموطأ))؛ بألفاظ متقاربة.

(٢) (مراده مؤمنًا بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأن إطلاق الإيمان ينصرف إلى الإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولو قيد ذلك به لكان أحسن) (ابن عثيمين).

و((**مَزِيدًا**)) صفةٌ لـ ((**تَسْلِيمًا**))، وهو اسم مفعول من (زاد) المتعدِّي، والتقدير: مزيدًا فيه.

(أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الـمنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)[١].

((**أَمَّا بَعْدُ**)): كلمة يُؤتَى بها للدِّلالة على الشروع في المقصود، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعملها كثيرًا في خطبه وكتبه، وتقديرها عند النحويِّين: مهما يكن من شيء بعد.

والإشارة بقوله: ((**هَـذَا**)) إلى ما تضمَّنه هذا المؤلَّفُ من العقائد الإيمانية التي أجملها في قوله: ((وهو الإيمان بالله...)).

والاعتقاد: مصدر اعتقد كذا؛ إذا اتَّخَذه عقيدة له؛ بمعنى عقد عليه الضمير والقلب، ودان لله به، وأصله من (عقد الحبل)، ثمَّ استُعْمل في التصميم والاعتقاد الجازم.

[الفرقة الناجية] ((**الْفِرْقَة**)) - بكسر الفاء - الطائفة من الناس.

ووصفها بأنَّها ((**النَّاجِيَة الـمنْصُورَة**)) أخذًا من قوله - عليه السلام -: ((لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحقِّ منصورةً، لا يضرُّهم من خَذلهم، حتى يأتي أمر الله))[٢].

---

(١) في الأصل: ((اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه.

ومن قوله في الحديث الآخر: ((ستفترق هذه الأمَّة على ثلاث وسبعين فرقةً: كلهم في النّار إلى واحدة، وهي مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))[(١)].

[أهل السُّنَّة والجماعة]

وقوله: **((أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ))**[(٢)]؛ بدل من الفرقة.

---

(١) حديث الافتراق رواه بألفاظ مختلفة: أحمد (١٢٤٧٩)، والترمذي (٢٦٤٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (١٣٢٢)، والدارمي (٣١٤/٢)، والحاكم (٢١٨/١)، وغيرهم.
وقد حسَّنه الترمذي، وقال الحاكم عن أسانيده: ((هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث))، ووافقه الذهبي، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢٣٠/٣): ((حديث افتراق الأمَّة أسانيدها جياد))اهـ. وحسَّن إسناده ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (٢٧/١) وابن حجر في ((تخريج الكشاف)) (١٠٨).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لـ ((الواسطية)) (٥٣/١): ((عُلِمَ من كلام المؤلف رحمه الله أنه لا يدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم، فالأشاعرة مثلًا والماتريدية لا يُعَدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب؛ لأنهم مخالفون لما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها، ولهذا يخطئ من يقول: إن أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة: سلفيُّون، وأشعريُّون، وماتريديُّون، فهذا خطأ؛ نقول: كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون؟! فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال؟! وكيف يكونون أهل سنَّةٍ وكلُّ واحدٍ منهُم يردُّ على الآخر، هذا لا يمكن؛ إلا إذا أمكن الجمع بين الضِّدين؛ فنعم! وإلا؛ فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة، فمن هو؟ الأشعرية أم الماتريدية أم السَّلفيَّة؟ نقول مَن وافق السنَّة؛ فهو صاحب السنة، ومَن خالف السنة؛ فليس صاحب سنة، فنحن نقول: السَّلف هم أهل السُّنَّة والجماعة، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبدًا، والكلمات تعتبر بمعانيها، لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل سنة؟ لا يمكن! وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة، إنهم مجتمعون؟ فأين الاجتماع؟ فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقدًا، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه؛ فإنه سلفي)).اهـ

والمراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات.

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا سلف هذه الأمَّة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[أركان الإيمان الستة]

(وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

هذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتمُّ إيمانُ أحدٍ إلا إذا آمن بها جميعًا على الوجه الصحيح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، فمَنْ جَحَدَ شيئًا منها أو آمن به على غير هذا الوجه؛ فقد كفر.

وقد ذُكِرَت كلها في حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان؟ فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره»[١]؛ حلوه ومره من الله تعالى.

---

(١) هذا جزءٌ من حديث جبريل المشهور؛ رواه مسلمٌ، بلفظ: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره» وهو أول حديث يفتتح به الصحيح.

ورواه بنحوه أيضًا: أحمد (٢٨/١) (١٩١)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي، كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

كما رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما.